اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية المبكر بنجد

د. خالد بن حمود السعدون
كلية الآداب - جامعة الشارقة

تركز الكتابات العديدة التي تُعنى بتاريخ الصلات السعودية - الأمريكية اهتمامها بتلك الصلات بعد أن بلغت مرحلة العلاقات الرسمية بما تتضمنه من مباحثات واتفاقيات في مطلع ثلاثينيات القرن الميلادي المنصرم. وتغفل بذلك تناول مرحلة تمهيدية مهمة بدأ فيها اهتمام الجانب الأمريكي بنجد. ويتمثل ذلك الاهتمام بجمع المعلومات عن نجد بهدف التعرف على الأوضاع السائدة هناك وتقويم الإمكانات المتاحة لعلها توفر فرصة تلبي الطموحات التجارية والاستثمارية الأمريكية، وتشترك في ذلك الإغفال المراجع المتاحة كلها؛ فيكتفي كتاب مكرس لتتبع تلك الصلات بالقول: إن الجزء الداخلي في شبه جزيرة العرب ظل حتى نهاية الحرب العالمية الأولى بعيدًا لم يُمس عمليًا، ولم يكن الاهتمام الأمريكي بتلك المنطقة قد وجد تقريبًا(١). أما وزارة الخارجية الأمريكية ذاتها فتقفز أيضًا عن تلك المرحلة التمهيدية المهمة، وتكتفي في موقعها على الإنترنت بالقول: إن العلاقات الدبلوماسية أقيمت بين السعودية والولايات المتحدة سنة ١٩٣٣م (١٣٥٢هـ) ثم فتحت السفارة الأمريكية في جدة والقنصلية الأمريكية في الظهران سنة ١٩٤٤م (١٣٦٣هـ)(٢). ويفيد

---

(١) بنسون لي غريسون، العلاقات السعودية - الأمريكية: في البدء كان النفط، ترجمة سعد هجرس، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٩.

(2) http://www.state.gov/r/pa/bgn/index

موقع حكومي آخر بأن العلاقة "الخاصة" بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة تعود فعليًا إلى أيام الحرب العالمية الثانية(٣). ويزيد باحث متخصص الأمر تعميمًا بقوله: إن الاهتمام الأمريكي بمنطقة الشرق الأوسط برمتها بدأ في حقيقته بعد الحرب العالمية الثانية، أي منذ بروز الولايات المتحدة قوة عظمى في العالم(٤). وقد ترتب على ذلك الإغفال شيوع اعتقاد عام مفاده أن اهتمام الولايات المتحدة بنجد ابتدأ مع تنافس الشركات الأمريكية والبريطانية على امتيازات النفط في مطلع ثلاثينيات القرن المنصرم، لذا فقد آن الأوان لتبين مدى صحة ذلك الاعتقاد عن طريق الرجوع إلى الوثائق الرسمية الأمريكية المتاحة. ويحسن قبل تصفح تلك الوثائق إلقاء نظرة سريعة على الخطوات الأولى التي أوصلت الأمريكيين إلى المنطقة المحاذية لنجد.

حققت معاهدة باريس سنة ١٧٨٣م (١١٩٧هـ) الاستقلال السياسي للولايات المتحدة الأمريكية. ولم يكن ذلك كافيًا في نظر مسؤولي الدولة الوليدة الذين أرادوا أن يدعموه بتحقيق الاستقلال الاقتصادي أيضًا؛ فوضعوا نصب أعينهم البحث عن فرص تجارية في زوايا المعمورة "الشاغرة" أي غير المحتكرة من قبل الدول الاستعمارية الأوربية، وقادهم البحث عن تلك الفرص إلى المحيط الهندي حيث دخلته أول سفينة أمريكية سنة ١٨٠٠م (١٢١٥هـ) عن طريق رأس الرجاء الصالح(٥). وأعقب ذلك نمو التجارة الأمريكية في سواحل

---

(3) http://www.lcweb2.loc.gov/cgi-bin/query/r?frd/cstdy

(٤) أمجد حداد، المواجهة بين الإسلام السياسي والولايات المتحدة في الشرق الأوسط ومستقبل العلاقات العربية – الأمريكية، في "سامي الخصاونة (محرر)، العلاقات العربية – الأمريكية: نحو مستقبل مشرق، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠١ م"، ص ٣٥٣.

(٥) بالمر، م.، حراس الخليج : تاريخ توسع الدور الأمريكي في الخليج العربي ١٨٣٣ – ١٩٩٢م، ترجمة نبيل زكي، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ص ٩-١٧.

ذلك المحيط، وخاصة في جزيرة زنجبار حتى غدت الولايات المتحدة الدولة صاحبة النشاط التجاري الأوسع في تلك الجزيرة وغيرها من ممتلكات عمان في شرقي أفريقيا. وقد تحقق ذلك لها بعد أن وقعت في سبتمبر ١٨٣٣م (١٢٤٩هـ) معاهدة صداقة وتجارة مع سلطان عمان سعيد بن سلطان (١٨٠٦ -١٨٥٦م) (١٢٢١ - ١٢٧٢هـ)(٦). وبعد عمان وزنجبار سعت الحكومة الأمريكية لتعزيز علاقاتها مع الدول الأخرى المطلة على الخليج العربي من أجل توسيع الفرص المتاحة أمام التجارة الأمريكية، ونجحت سنة ١٨٣٠م (١٢٤٥هـ) في عقد معاهدة صداقة وتجارة مع الدولة العثمانية التي كانت تهيمن على شمال الخليج العربي، كما أبرمت في ديسمبر ١٨٥٦م (١٢٧٢هـ) معاهدة أخرى مع شاه فارس، وأتاحت تلك المعاهدات الفرصة لتوسع التجارة الأمريكية في الخليج العربي. ويبدو أن ذلك التوسع كان كافيًا لجعل الحكومة الأمريكية تقرر إرسال إحدى سفنها الحربية إلى المنطقة، فاجتازت سفينة حربية أمريكية مضيق هرمز صاعدة في مياه الخليج لأول مرة سنة ١٨٧٩م (١٢٩٦هـ)(٧).

وتأثر المنصِّرون الأمريكيون بعد حين بخطى مواطنيهم من التجار. فشق منصِّرون تابعون للكنيسة الكالفنية في أمريكا طريقهم إلى الأراضي الفارسية منذ سنة ١٨٣٠م (١٢٤٥هـ) ثم تلاهم منصِّرو الإرسالية العربية(٨). وقد تأسست تلك الإرسالية سنة ١٨٨٩م (١٣٠٦هـ) بوصفها إرسالية بروتستانتية مستقلة، ثم وضعت تحت إدارة الكنيسة الكالفنية في أمريكا سنة ١٨٩١م (١٣٠٨هـ). وكان

---

(٦) جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيد في عمان وشرقي أفريقيا، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ٢٠٠٠م، ص ص ٢٠٤-٢٠٩.

(٧) بالمر، المرجع نفسه، ص ١٧.

(٨) خالد البسام، صدمة الاحتكاك : حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٨٩٢ - ١٩٢٥م، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٦. ويلحظ قوله بأن وصول البعثة إلى البصرة تم سنة ١٨٨٩م.

الهدف المحدد لها هو ممارسة التنصير الإنجيلي في شبه جزيرة العرب عن طريق الوعظ وتوزيع الكتاب المقدس والتجول بين سكان المنطقة وتقديم الخدمات الطبية والتعليمية لهم. وأقيمت المحطة الأولى لتلك الإرسالية في البصرة سنة ١٨٩١م (١٣٠٨هـ)، وامتد نشاطها من هناك إلى البحرين وعمان سنة ١٨٩٣م (١٣١٠هـ)، ووصل نشاطها أخيرًا إلى الكويت سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ)(٩).

وصل الأمريكيون تجارًا ومنصِّرين إلى سواحل الخليج العربي ولكنهم عزفوا عن محاولة اختراق الصحراء

هكذا وصل الأمريكيون تجارًا ومنصِّرين إلى سواحل الخليج العربي، وحطوا رحالهم في مسقط والبصرة والبحرين والكويت، وغدوا بذلك على مشارف نجد، ولكنهم مثل من سبقهم من الأوربيين عزفوا عن محاولة اختراق الصحراء والنفاذ إلى ما وراءها رهبة من مجاهلها أو استصغارًا لشأن المصالح التي يمكن أن تكون فيها، بيد أن ذلك العزوف تبدد فجأة منذ مطلع سنة ١٩٠٧م (١٣٢٤هـ) حيث بدأت تظهر في الوثائق القنصلية الأمريكية عناية بتتبع أخبار نجد، وكانت تلك العناية نتيجة توجيه من وزارة الخارجية في واشنطن؛ فقد أوكلت الوزارة في فبراير ١٩٠٧م (١٣٢٤هـ) إلى القنصل العام الأمريكي في بيروت مهمة جمع المعلومات السياسية والأخبار المهمة الأخرى المتعلقة بالمنطقة ثم نقلها إلى مقر الوزارة، وخولته صلاحية طلب تقارير عن تلك الأخبار من القنصليات الأمريكية في بغداد ومسقط وعدن والقدس، ومن وكالتي القنصليتين في البصرة والحديدة(١٠).

وقد استجاب القنصل الأمريكي في بغداد للتوجيهات التي تلقاها من مراجعه، فكتب في يونيو ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ) إلى الوكيل القنصلي الأمريكي

---

(9) http://www.mecchurch.org/newsreport/vol10/bookreview.asp.

(10) National Archives and Records Administration (hereafter NARA),RG 84 ,Baghdad Consular Post (hereafter B.C.P.) , File No.3135 ,No.1.Dept. of State ,Washington ,to Am .Con , Baghdad,dated 8/2/1907.

في البصرة يخبره بأنه قد قرأ في صحيفة (The Times of India) تقريرًا وردها من الكويت يفيد بانقراض أسرة آل رشيد الحاكمة في حائل نتيجة موت آخر صبيين ينتميان إليها، ولذا فإن الأمير ابن سعود غدا سيدًا لنجد كلها. وطلب القنصل من الوكيل تحري حقيقة الخبر، ومتابعة تطورات الأوضاع في نجد، وضرورة موافاته بأية معلومات مهمة تتوافر له عنها وعن منطقة الخليج العربي عمومًا سواء أكانت متصلة بالسياسة أم بالموضوعات الأخرى المهمة(١١). وكتب القنصل نفسه إلى القس جون فان ايس (J.Van Ess) كبير المنصرين الأمريكيين في البصرة رسالة في فبراير ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) تضمنت إبداء لهفته على الحصول على تقرير عن الأحوال في نجد، وحثّه على بذل غاية جهده من أجل الحصول على أخبار موثقة عنها(١٢). ولعل من نافلة القول التنبيه هنا إلى ما في هذا الخبر من دلالة على عمق الترابط بين الإرساليات التنصيرية وحكومات بلدانها، وما كانت تقدمه من خدمات لمصالح تلك البلدان.

وظل القنصل العام الأمريكي في بيروت في غضون ذلك مهتمًا بمتابعة ما كان يجري في نجد؛ فكتب إلى القنصل الأمريكي في بغداد في مايو ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) طالبًا منه موافاته بأية معلومات موثقة تتوافر لديه عن الصراع الدائر بين أميري الرياض وحائل، وعن مقاومة قبائل الحجاز لمد سكة الحديد التي كانت تمتد نحو المدينة المنورة(١٣). ولم يبق ذلك الاهتمام الأمريكي بشؤون نجد حبيس التطلع لتلقي الأخبار عن بعد، بل تبلور في هذه الفترة فكرة طموحة للوصول إلى تلك الأخبار من منبعها الأصلي؛ فقد اقترح

---

(11) NARA,RG 84 , B.C.P., NO 11,Am .Con., Bagh., to Am. Consular agent ,Basrah ,dated 3/6/1907.

(12) NARA,RG 84 , , B.C.P. No. 302, Am. Con. ,Bagh. ,to Rev. J. Van Ess ,Bas.,dated 7/2/1908.

(13) NARA , RG 84 , B.C.P., No.896 Misc. , Bie Ravndal ,Beirut ,to Am. Con.,Bagh. ,dated 5/5/1908.

القنصل الأمريكي في بغداد أن يقوم شخصيًا بزيارة حائل عاصمة إمارة آل رشيد تحت ستار البحث عن فسائل نخيل، ومن المعروف أن وزارة الزراعة الأمريكية كانت معنية حينئذ بالحصول على فسائل من مختلف أنحاء المنطقة العربية لاستزراعها في بعض الولايات الأمريكية ذات المناخ الملائم، وكانت الوزارة توكل إلى القنصليات الأمريكية العاملة في المنطقة مهمة انتخاب الفسائل الممتازة وتدبير أمر شحنها إلى الولايات المتحدة؛ فاستغل القنصل الأمريكي في بغداد ذلك الواقع وكتب إلى وزارة الزراعة في واشنطن في مايو ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) يفيدها برؤيته أصنافًا ممتازة من التمر المجلوب من حائل، وأضاف أن الرحلة إلى ذلك المكان مكلفة ماديًا وخطرة أمنيًا؛ لأن واحدًا أو اثنين فقط من "الكفار" على حد قوله استطاعوا الوصول إليه، كما أن السلطات العثمانية لا تستطيع ضمان سلامة الأجانب الذين يعتزمون زيارة تلك المنطقة، ولكنه على الرغم من ذلك كله مستعد للقيام بتلك المخاطرة إذا تلقى الضوء الأخضر من واشنطن(١٤). ولا بد من وقفة عجلى هنا لتصحيح المعلومة التي أوردها القنصل عن عدد الرحالة الأوربيين الذين زاروا حائل حتى ذلك الحين. فهم ليسوا اثنين كما زعم بل كانوا سبعة على الأقل (داوتي، موزيل، بركهاردت، بلنت، ووالن، نولده، وليتشمان)، ولكن القنصل أراد أن يهوّل الأمر على الوزارة ليزيد من قيمة التضحية التي سيقدم عليها من أجلها.

وأطلع القنصلُ الأمريكي في بغداد القنصلَ العام الأمريكي في بيروت على اقتراحه المرفوع للوزارة؛ فقد كتب له في الثلاثين من مايو ١٩٠٨م (١٣٢٥هـ) بأنه لا يملك أية معلومات حول أنشطة أميري حائل والرياض، ولا يعلم إن كان أي شيء موثوق عنها يمكن الحصول عليه في بغداد، ولكنه يأمل الوصول بنفسه إلى حائل إذا أقر اقتراحه المشار

---

(14) NARA , RG 84, B.C.P. No. 381 ,Am. Con. ,Bagh., to Hon. D. Fairchild ,Washin., dated 15/5/1908.

إليه(١٥). وكأن القنصل أراد هنا الحصول على تأييد القنصل العام لفكرته تلك، وهو ما فعله الأخير حين رحب ترحيبًا حارا بتلك الفكرة، وأعرب عن أمله في أن تسمح السلطات العليا في واشنطن للقنصل ليس بزيارة حائل فقط بل والرياض أيضًا. وأضاف أن ذلك سوف يُمكّن القنصل من التعرف على الوضع السياسي والاقتصادي لمناطق يقف إزاءها بقية العالم في جهل مطبق على حد تعبيره(١٦). ولكن تلك الفكرة لم يكتب لها أن ترى النور؛ إذ ردّت وزارة الزراعة على القنصل في أغسطس ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) معتذرة عن قبول اقتراحه بالسفر إلى حائل على نفقتها؛ لأنها لا تتوفر لديها الاعتمادات المالية اللازمة لتغطية نفقات الرحلة(١٧).

ولم يقلل فشل ذلك الاقتراح من الحرص الأمريكي على تتبع أخبار نجد؛ فقد تلقى القنصل الأمريكي في بغداد رسالة من القنصل العام الأمريكي في بيروت ضمنها رغبته في الحصول على تقرير يحوي أسماء القبائل البدوية الرئيسة في شبه جزيرة العرب، وتعداد أفرادها، ومواقع ديارها، وأية معلومات أخرى ممكنة عنها، فرد عليه القنصل في الخامس عشر من أغسطس ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) برسالة تضمنت نبذة عن شؤون نجد، وأحاله القنصل أيضًا على كتاب القس زويمر (Zwemer) الموسوم بـ "بلاد العرب مهد الإسلام (Arabia ,the Cradle of Islam)" لكونه مرجعًا يحوي معلومات موثقة حسب رأي من وصفهم بـ "المطلعين"(١٨). ومن جانبه

---

(15) NARA,RG 84,B.C.P., No. 392 , Am. Con. ,Bagh. , to Bie Ravndal ,Bier. ,dated 30/5/1908 .

(16) NARA, RG 84, B.C.P. No.1081 Misc., Bie Ravndal , Beir. , to Am. Con. , Bagh. , dated 10/7/1908

(17) NARA, RG 84 , B.C.P. , No.448 ,Am. Con. , Bagh. ,to Bie Ravndal , Beir., dated 14/8/1908 .

(18) NARA , RG 84 , B.C.P., No. 451 ,Am. Con. ,Bagh., to Bie Ravndal ,Beir. ,dated 15/8/1908.

قام القنصل العام بالكتابة إليه في الحادي والثلاثين من أغسطس ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) مفيدًا بما بلغه من معلومات عن إعلان كل من شريف مكة المكرمة ووالي الحجاز رفضهما لإعلان إسطنبول إعادة العمل بالدستور، ولم يستبعد القنصل العام احتمال تعاطف سكان بلاد العرب مع من أسماهم "المحافظين الترك (the old Turks)"(١٩).

وأرسل القنصل العام طي رسالته تلك تقريرًا أعده تحت عنوان: "البدو وسياساتهم" ورفعه إلى مراجعه، وطلب من القنصل إمعان النظر فيه وإبداء ما يَعِنُ له من ملحوظات عليه. والتقرير طويل يقع في ثلاث وعشرين صفحة، بدأه كاتبه بمحاولة تحديد ما أسماه أرض البدو، وهي تشمل - حسب رأيه - شبه الجزيرة العربية بكاملها حتى نهر الفرات شمالاً، وحاول الكاتب بعد ذلك تتبع علاقات القبائل البدوية القاطنة في تلك المنطقة الشاسعة مع السلطات العثمانية خلال القرن التاسع عشر، وانتقل القنصل العام بعد ذلك إلى استعراض التقديرات المتضاربة لعدد سكان شبه الجزيرة العربية، ورجح تقدير المنصِّر الأمريكي القس صموئيل زويمر الذي توصل إلى أن سكان شبه الجزيرة حينئذ يبلغون حوالي ثمانية ملايين نسمة(٢٠). وعرَّف الكاتب بدعوة الإصلاح السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتبناها الأئمة من آل سعود حتى سقوط دولتهم الأولى نتيجة نيران مدافع إبراهيم بن محمد علي باشا سنة ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)، وانتقل القنصل العام بعدها للحديث عن نشأة الدولة السعودية الثانية حتى انحلالها بسبب الخلافات الداخلية، ثم نشوب الصراع بين آل سعود وآل رشيد حكام حائل وأهم

---

(19) NARA,RG 84 , ,B.C.P. No. 1092 ,Bie Ravndal , Beir. , to Am. Con. , Bagh., dated 31/8/1908.

(٢٠) للمقارنة راجع التقديرات المختلفة لسكان نجد حينئذ في : خالد السعدون، أحداث في تاريخ الخليج العربي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠١م، ص ص ١٣٥-١٣٧.

تطوراته حتى وقت إعداد التقرير، وأولى التقرير عنايةً واضحة لتحليل وضع ما أسماه بـ: "الحركة الوهابية" كما كان يراه حينئذ، ولمحاولة استشراف مستقبلها، واستعرض عودة النشاط العثماني إلى منطقة الخليج العربي على يد مدحت باشا سنة ١٨٧١م (١٢٨٨هـ)، وما تلاه من صراع إنجليزي - عثماني في تلك المنطقة، وتوقف أخيرًا عند تصدي قبائل الحجاز لعملية مد سكة الحديد نحو المدينة المنورة التي كانت جارية في حينه، وعدّ القنصل العام تلك المقاومة تصديًا لسياسة الحكومة العثمانية الرامية إلى إحكام قبضتها على النطاق الغربي من شبه الجزيرة قبل الانتقال من هناك إلى نجد، وتوقع اتساع تلك المقاومة بانضمام آل سعود وآل رشيد وشريف مكة المكرمة إليها(٢١).

ولعل من المفيد الإشارة هنا إلى بعض الأخطاء التي وردت في تقرير القنصل العام ذاك، إذ تكشف تلك الأخطاء قصر باع الدبلوماسيين الأمريكيين حينئذ فيما يتعلق بمدى إحاطتهم بدقائق شؤون المنطقة التي بدؤوا يهتمون بأمرها، ومن تلك الأخطاء قوله: إن الظهور الأول للترك في بلاد العرب تم سنة ١٥٢٥م (٩٣١هـ) حين مد السلطان سليم الأول سيادته على الحرمين الشريفين. ومن المعروف أن ذلك تم بعد سيطرته على القاهرة سنة ١٥١٧م (٩٢٣هـ)، ومنها أنه جعل مؤسس الدولة السعودية الثانية ابنًا للإمام عبدالله بن سعود الذي أعدم في إسطنبول بعد هزيمته على يدي إبراهيم باشا سنة ١٨١٨م (١٢٣٣هـ). والصحيح أنه الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، ومن تلك الأخطاء جعله عنيزة وبريدة وشقراء والحريق والحوطة أسماء قبائل، في حين أنها أسماء مواضع معروفة، وذكر أيضًا أن أمير حائل سنة ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ) هو حمود بن رشيد،

---

(21) NARA ,RG 84 ,B.C.P. , "The Bedouins and their politics", by Am . Consul - General ,Beir.

في حين أن اسمه هو سلطان بن حمود بن عبيد (حكم في الفترة من يناير ١٩٠٧م/١٣٢٤هـ إلى أبريل ١٩٠٨م/١٣٢٦هـ) ونسب لذلك الأمير هجومه على الرياض سنة ١٩٠٧م (١٣٢٤هـ)، وهو هجوم لم يذكره أي من شهود العيان والكتاب المعاصرين، وقد انفرد القنصل العام بمعلومة أخرى أشد غرابة من سابقاتها، وتفيد تلك المعلومة بمحاولة أمير حائل محمد بن عبدالله آل رشيد (حكم في الفترة ١٨٧٢م/١٢٨٩هـ إلى ١٨٩٧م/١٣١٤هـ) الهجوم على مدينة الطائف من أجل إطلاق سراح المصلح العثماني الشهير مدحت باشا المسجون في قلعة المدينة قبل أن يقتل في مايو ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ)، وعلل القنصل العام إقدام السلطات العثمانية على قتل ذلك المصلح تعليلاً في غاية الغرابة، وهو خوفها من نشوب ثورة عربية شاملة ضدها يقودها مدحت باشا، وترمي إلى إنشاء إمبراطورية عربية، حيث لم يرد في أي مصدر معاصر ما يدل على اهتمام مدحت باشا باستثمار بواكير النشاط القومي العربي الذي بدأ في بلاد الشام حينئذ لصالحه.

وظل القنصل العام الأمريكي في بيروت بعدها يتتبّع أخبار القبائل البدوية، فكتب في الحادي عشر من سبتمبر ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) إلى القنصل الأمريكي في بغداد مستفسرًا عما يتوقع من آثار لانقلاب يوليو ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) في إسطنبول ولإعادة العمل بالدستور على قبائل البادية(٢٢). وأوصلته الإجابات التي تلقاها إلى قناعة مفادها أن "النعم" الدستورية تقع خارج نطاق إدراك أبناء القبائل الذين سيستمرون منشغلين بغاراتهم وغزواتهم(٢٣)، وجاء ما يؤيد قناعته حين أرسل القنصل الأمريكي في بغداد رسالة في الثاني والعشرين

---

(22) NARA ,RG 84 ,B.C.P., No.1103 Misc. ,Bie Ravndal ,Beir., to Am. Con.,Bagh .,dated 11/9/1908

(٢٣) خالد السعدون، الأوضاع القبلية في البصرة، شركة الربيعان للنشر، الكويت، ١٩٨٨م، ص ٥٩.

من سبتمبر ١٩٠٨م (١٣٢٦/٨/٢٦هـ) إلى السفير الأمريكي في إسطنبول تنبئه بحدوث قتال كبير بين قبيلة العجمان وسكان ميناء القطيف على ساحل الخليج، وكان سبب القتال شجارًا صغيرًا على قِرْبة ماء تطور إلى خلاف كبير بعد أن فشل القائمقام العثماني في تطويقه، فشنت القبيلة الغاضبة هجومًا على البلدة دمرت خلاله بساتين النخيل، ونهبت السوق وسقط أكثر من مئة قتيل أكثرهم من المهاجمين، ولم يكتف العجمان بما حصل، بل فرضوا بعده الحصار على البلدة مما اضطر السلطات الحكومية المحلية إلى الإبراق لولاية البصرة طالبة التعزيزات؛ فمدتها الولاية بنجدة مؤلفة من أربعمئة جندي أدى وصولها إلى فك الحصار عن البلدة واعتقال العديد من البدو، وأضاف القنصل قوله: إن قبيلة العجمان أبرز قبائل المنطقة الممتدة بين اليمامة وهجر، وهي تدين بالولاء للأمير عبدالعزيز آل سعود، واتهم القنصل الأمير صراحة بالإيعاز للقبيلة بشن ذلك الهجوم بهدف الحصول على منفذ على ساحل الأحساء. وبعد أن ذكَّر القنصل بالصراع السابق بين العثمانيين وآل سعود على امتلاك ذلك الساحل أضاف أن الحصول على منفذ على البحر يعني الكثير لعرب نجد؛ لأنه يسهل عليهم المتاجرة بالسلاح على وجه الخصوص(٢٤).

وعاد القنصل في اليوم الثاني للكتابة عن ذلك الحدث ناقلاً معلومات أوردها القنصل الألماني في ميناء بوشهر الفارسي وتفيد أن عدد ضحايا تلك الصدامات كان خمسمئة قتيل من العجمان، ومئتي قتيل من سكان بلدة القطيف(٢٥)، ولعل في هذه الأرقام مبالغة واضحة.

---

(24) NARA ,RG 84 ,B.C P. ,No. 27 ,Am. Con. ,to Am Ambassador ,Constantinople ,dated27/9/1908

(25) NARA ,RG 84 ,B.C.P., No.478 ,Am. Con. ,Bagh. ,to Bie ravndal ,Beir. ,dated 28/9/1908 .

وواصل القنصل الأمريكي في بغداد رصد تطورات الأوضاع في نجد، ونقل ما يصله عنها أولاً بأول إلى القنصل العام في بيروت[٢٦]، وقد استعان في ذلك المجال بخبرة القس جون فان ايس كبير المنصرين الأمريكيين في البصرة؛ فكتب له طالبًا موافاته بما لديه من معلومات عن الأوضاع السياسية في نجد، ووعده القس بتلبية طلبه حال تلقيه المعلومات المطلوبة من مصادره[٢٧]، وكان القنصل يسارع بنقل أخبار التطورات المهمة المتصلة بالأحوال في نجد إلى القنصل العام حال حصوله عليها، ومن تلك التطورات المهمة استعادة الأمير عبد العزيز آل سعود للأحساء في مايو ١٩١٣م (١٣٣١هـ)، فأرسل القنصل تقريرًا عن ذلك الحدث نقل فيه عن جريدة "الزهور" الصادرة في بغداد في الحادي والعشرين من ذلك الشهر خبرًا يفيد باستيلاء الأمير على الأحساء عاصمة "لواء نجد"، بقوة مؤلفة من ألف وخمسمئة فارس، وأضاف الخبر أن الموظفين الحكوميين طردوا، كما تم القبض على كتيبة من الجند النظاميين وسرية واحدة من الدرك وجردت من سلاحها، وبعد أن نقل القنصل ذلك الخبر عرف بلواء نجد بقوله: إنه يقسم إلى قضاءين هما قطر والقطيف، وينقَسم كل قضاء منهما إلى ناحيتين، ولكن الحكومة المحلية لا تمارس أية سلطة فعلية خارج مراكز اللواء والقضاءين والنواحي، وكانت حصيلة الإيرادات المالية الحكومية السنوية من اللواء ما بين ١٣٠٠٠ و١٤٠٠٠ ليرة من الجمارك، و٣٠٠٠ ليرة من دائرة الديون العمومية، و٣٠٠٠٠ - ٤٠٠٠٠ ليرة من الموارد الأخرى، ونقل القنصل بعدها ما كان يروى في بغداد عن استعدادات السلطات العسكرية في الولاية لاستعادة الأحساء عنوة، وأعرب عن شكه في قدرة تلك السلطات على تحقيق ذلك الهدف، إذ لايمكن الاستغناء عن

---

(26) NARA ,RG 84 ,B.C.P., No. 451 ,Am. Con. ,Bagh. ,to Bie Ravndal ,Beir., dated 15/8/1908.

(27) NARA, RG 84, B.C.P., J. Van Ess, to Am. Con. ,Bagh., dated 12/10/1908.

عدد كبير من القوات الحكومية المرابطة في ولايتي بغداد والبصرة؛ لأن وجودها ضروري لقمع اضطرابات القبائل هناك.

كما أن من المُرجَّح أن يقاوم عرب نجد كلهم القوات الحكومية، وعلاوة على ذلك يمكن أن يتلقى الأمير عبدالعزيز آل سعود العون من كل من شيخ الكويت وأمير حائل اللذين هما على علاقة ودية معه، واستطرد القنصل بالقول: إن من الصعب على السلطات العثمانية - من جهة أخرى - أن تتغاضى عن ضم الأمير عبدالعزيز للأحساء؛ لأن ذلك العمل وجّه ضربة حقيقية لمكانتها في المنطقة ربما تجرئ بقية العرب على مناوأتها(٢٨). ويدل حديث القنصل عن إمكان معاونة شيخ الكويت وأمير حائل للأمير عبدالعزيز آل سعود على جهله بالواقع السياسي في شبه الجزيرة العربية حينئذ؛ إذ كانت العلاقة بين الكويت والرياض حينذاك أقرب إلى الحذر المتبادل(٢٩)، في حين كانت العلاقة بين الرياض وحائل عدائية(٣٠).

وعاد القنصل الأمريكي في بغداد للحديث عن ضم الأمير عبدالعزيز آل سعود للأحساء حين كتب رسالة للسفير الأمريكي في إسطنبول في التاسع من يونيو ١٩١٣م (١٣٣١هـ)، وجاء في الرسالة أن السلطات العثمانية تعمل على استعادة الأحساء، حيث يروى أن الطراد "حميدية" قد أمر بالتوجه إلى ميناء القطيف لنقل القوات التي حُركت من بغداد والعمارة والبصرة، وليس من الممكن تسييرها برًا عبر الصحراء من البصرة إلى الأحساء، وأضاف أن القوات التي غادرت بغداد تتراوح بين ستمئة وألف رجل، وستنضم لها في العمارة قوة مؤلفة من مئتين إلى مئتين وخمسين رجلاً، ثم تنضم لها قوة

---

(28) NARA ,RG 84 ,B.C.P. ,File No. 800 ,Am. Con. ,Bagh. ,to Am. Amb.,Const. ,dated 22/5/1913.

(٢٩) خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت ١٩٠٢-١٩٢٢م، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٩٩٠م، ص ص ١٣٣-١٣٦.

(٣٠) السعدون، أحداث في تاريخ الخليج العربي ، ص ص ١٦٢- ١٦٣.

أخرى في البصرة قبل أن تركب البحر نحو هدفها. ونقل القنصل عن جريدة "صدى بابل" الصادرة في بغداد في الثامن من يونيو قولها: إن القوة التي طردها الأمير من الأحساء والقطيف تتألف من أربعمئة رجل، وهي موجودة على ظهر الباخرة "جينسكات (Janiskat)" الراسية في ميناء البحرين انتظارًا لوصول تعزيزات من البصرة، وتعاني تلك القوات من ظروف سيئة جدًا بسبب نقص المياه وشدة الحر وندرة المقصورات المتاحة على ظهر السفينة، ومضت الجريدة تقول: إن الأمير عبدالعزيز طلب من الشيخ قاسم آل ثاني قائمقام قطر أن يحذو حذوه ويطرد الجنود العثمانيين من أراضيه، ولكن الشيخ لم يستجب للطلب. وذكرت الجريدة أن الخوف انتشر بين سكان البصرة بعد سماعهم بما جرى في الأحساء، خاصة حين وصل الموظفون المطرودون من الأحساء وهم مجردون من أي شيء يملكونه، وأفاد أولئك الموظفون أن الأمير عبدالعزيز استولى على ما في خزينة اللواء من أموال وهي سبعة آلاف ليرة(٣١).

وواصل القنصل الأمريكي في بغداد اهتمامه باسترداد الأمير عبدالعزيز آل سعود الأحساء، فكتب في الثالث والعشرين من الشهر نفسه رسالة أخرى إلى السفير الأمريكي في إسطنبول، وشكك القنصل في رسالته بقدرة السلطات العثمانية على استعادة بلدة الأحساء بالقوة المتاحة لديها حينئذ التي يمكن الاستغناء عنها في ولايات العراق الثلاث، واسترسل القنصل قائلاً: إن بإمكان تلك القوة بمعونة الطراد "حميدية" الاستيلاء على ميناءي القطيف والعقير على الساحل، ولكن الأحساء تقع على مسيرة أربعة أيام إلى الداخل عبر طريق يمتد أكثره في صحارٍ جرداء، ويجعل ذلك الواقع - توافر خمسة آلاف رجل على الأقل ذوي تسليح وتموين جيدين - ضروريًا

---

(31)NARA ,RG 84 ,B.C.P. ,File No. 800 ,Am. Con. , Bagh. ,to Am. Amb. ,Const. ,dated 9/6/1913 .

لاستعادة الأحساء وضبطها، وأضاف: إن امتلاك ميناءي القطيف والعقير سيكون أمرًا مفيدًا للحكومة العثمانية إن نجحت في استعادتهما، حيث إن حصيلتها من الضرائب المستوفاة على حركة القوافل الكثيفة بين الساحل وداخل نجد ستشكل مصدرًا جيدًا للإيراد، "ولكن ما لم يتقدم الترك بقوة لاستعادة داخل نجد، فإنني أشك فيما إذا كان البريطانيون سيسمحون لهم للعمل زمنًا طويلاً عائقًا لتجارتهم المزدهرة مع الداخل"(٣٢). ويلحظ من عبارة القنصل الأخيرة إشارته إلى الموقف البريطاني المناوئ للوجود العثماني في الخليج العربي، ولعل ذلك ناشئ من تأثره بالجو العام السائد في بغداد حينئذ والميال إلى الشك الشديد بالنوايا البريطانية حيال المنطقة(٣٣). وتحسن الإشارة هنا أيضًا إلى ظهور نبرة انتقادية في الوثائق الأمريكية خلال هذه الفترة للأنشطة البريطانية في المنطقة، وتعود تلك النبرة لرغبة الأمريكيين في مزاحمة البريطانيين في الميدان التجاري والاستثماري.

لقد اتضح من استعراض تلك الوثائق أن الأمريكيين أظهروا اهتمامًا بشؤون نجد منذ سنة ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ)، ولا بد من الوقوف عند الأسباب التي جعلت ذلك الاهتمام يبرز في هذه الفترة بالذات، ويمكن بداية استبعاد عامل الفضول وحب الاستطلاع على الفور، فهو ليس من الأمور التي تدخلها الدول في حساباتها حين تحدد توجهاتها، كما أن التمثيل القنصلي الأمريكي أقيم في المنطقة المجاورة لنجد منذ عشرات السنين، ولم تثر أوضاع نجد فضولهم خلال تلك المدة كلها؛ بقي إذن البحث عن تلك الأسباب في البواعث الاقتصادية والسياسية والتنصيرية التي ظهرت في المنطقة عمومًا

---

(32) ARA ,RG 84 , B.C.P. , File No. 800 , Am. Con. , Bagh. ,to Am. Amb. ,Const. ,dated 23/6/1913.

(٣٣) لأخذ فكرة أوسع عن ذلك الجو، راجع : السعدون، أحداث في تاريخ الخليج العربي، ص ص ٤٣٢-٤٣٦.

ومن جملتها نجد، وأول تلك العوامل الاهتمام بالنفط على المستوى العالمي، والتفاؤل بوجود مكامنه في المنطقة القريبة من نجد؛ فقد بقيت الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا القيصرية المنتجتين والمصدرتين الرئيستين للنفط في العالم حتى نهاية القرن التاسع عشر، ولكنَّ تطورًا مهمًا لفت أنظار المهتمين بالصناعة النفطية إلى منطقة الخليج العربي في مطلع القرن العشرين؛ فقد تمكن المغامر الإنجليزي وليم دارسي (William D'Arcy) من الحصول في مايو ١٩٠١م (١٣١٩هـ) على امتياز للتنقيب عن النفط من شاه فارس، وأسفرت عمليات التنقيب عن العثور على النفط بكميات تجارية في حقل مسجد سليمان على مقربة من شمال شرقي الخليج العربي. ومن جانب آخر كانت هناك دلائل قوية على وجود مكامن نفطية قوية في الأراضي العراقية جعلت المقيم السياسي البريطاني في بغداد المستر نيو مارش (Newmarch) يؤكد في سنة ١٩٠٤م (١٣٢٢هـ) وجود النفط على امتداد خط سكة حديد برلين - بغداد المزمع إنشاؤه في الأراضي العراقية(٣٤).

ترتب على ذلك كله تنافس نفطي في المنطقة بين الأطراف الدولية المعنية؛ فقد أعطت اتفاقية سكة حديد بغداد المعقودة سنة ١٩٠٣م (١٣٢١هـ) بين الحكومة العثمانية وشركة سكة حديد الأناضول الألمانية لتلك الشركة الأفضلية في مجال التنقيب عن النفط في الأراضي المحاذية لمسار السكة المزمعة، وحصلت الشركة في السنة التالية - نيابة عن البنك الألماني - على عقد من الحكومة العثمانية مدته عام واحد، لمسح تلك المنطقة وتقديم تقرير عنها، ولكن الشركة بعد انقضاء أجل العقد لم تنفذ ما ورد فيه بخصوص التمديد، ولذلك قررت السلطات العثمانية بعد مراسلات طويلة وعقيمة مع الشركة إنهاء العمل بذلك الاتفاق سنة ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ)، وبدأت على

---

(34) Avery ,P., Modern Iran ,London, 1965 ,pp. 181-2.

إثر ذلك جماعات ألمانية وإنجليزية وأمريكية تتنافس فيما بينها، وتحاول كل منها إقناع الحكومة العثمانية بمنحها امتيازات نفطية في أراضيها(٣٥). وكان الإسهام الأمريكي في حلبة المنافسة تلك قويًا؛ فقد تولى الأميرال المتقاعد كولبي تشستر تكوين اتحاد (كونسرتيوم) لشركات النفط الأمريكية تولى التفاوض مع الباب العالي من أجل الحصول على امتيازات لمد السكك الحديدية والقيام بالتنقيب عن النفط والمعادن(٣٦). ولم يخرج المساهم الأمريكي من حلبة المنافسة خالي الوفاض، فقد حصلت شركة ستاندرد أويل في نيويورك على امتياز من الحكومة العثمانية للتنقيب عن النفط في شمال الأناضول وفي أراضي فلسطين(٣٧). فكان من الطبيعي وسط ذلك الجو التنافسي المحموم أن تتطلع أنظار المصالح النفطية الأمريكية إلى المناطق المجاورة لساحة المنافسة لعلها أن تجد فيها مثل جارتها شيئًا من المكامن النفطية، ومن تلك المناطق المجاورة «نَجْد» لا سيما أن شرط "الشغور" الذي تمت الإشارة إليه في بداية هذا البحث ينطبق عليها تمام الانطباق؛ فهي ليست خاضعة للحكم العثماني المباشر من ناحية، ولم تتمُ فيها مصالح لأية دولة أجنبية تبرر الادعاء بأنها منطقة نفوذ لها من ناحية أخرى، كما هي حال بريطانيا في سواحل الخليج العربي والعراق.

وقد أكد القنصل العام الأمريكي في بيروت في تقريره المطول عن "البدو وسياساتهم" - الذي سلف ذكره - طبيعة الاهتمام الأمريكي المصلحي بتلك المنطقة؛ إذ جاء في التقرير: "لا أستطيع إلا الإيمان بأن التقدم العثماني في الحجاز والمناطق الساحلية الواقعة خلفه

---

(٣٥) بينروز، أ.، العراق : دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية، ترجمة عبدالمجيد القيسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٧٤.

(٣٦) عن أنشطة تشستر، راجع : سلوى سعد الغالبي، العلاقات العثمانية - الأمريكية ١٨٣٠ -١٩١٨م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ص ٢٢٥- ٢٣٦.

(٣٧) بالمر، المرجع نفسه، ص ص ٢٠-٢١.

سوف يكتمل عاجلاً أو آجلاً، ومن ثَمَّ فإن أيامًا أكثر سعادة ستشرق على البدو على الرغم من نقائص الترك. وعلى طول ساحل البحر الأحمر - في الحجاز وعسير واليمن - هناك مجال واسع لتطوير مادي؛ حيث يمكن إدخال وسائل عصرية وخلق صناعات جديدة وتعزيز الأنشطة التجارية في تلك المناطق"، أما في نجد فيمكن أن يحدث ذلك لاحقًا وبصورة تدريجية(٣٨)، ولا بد من التنبيه هنا إلى ما في توقعات ذلك القنصل الأمريكي من تفاؤل مفرط، فـ: "التقدم العثماني" لم يكتمل والتطور المأمول تأخر أكثر من نصف قرن، ولا يهم هنا إغراقه في ذلك التفاؤل، بل المهم هو أن ذلك التفاؤل كان أحد عوامل الاهتمام الأمريكي بالمنطقة.

ولم يكن ذلك الاهتمام الأمريكي وليد اجتهادات شخصية للقناصل العاملين في المنطقة، وإنما كان منسجمًا مع التوجهات العامة للسياسة الأمريكية حينئذ، فقد كان هدف الأمريكيين منذ وصولهم إلى منطقة الخليج العربي محاولة إزاحة بريطانيا من السوق، والحلول محلها قوة اقتصادية مهيمنة هناك(٣٩)، ووجد ذلك السعي تعبيرًا عنه في توجيه أصدرته القنصلية العامة الأمريكية في إسطنبول إلى القناصل العاملين تحت إشرافها في المنطقة(٤٠)، وكان ذلك التوجيه منسجمًا مع السياسة الرسمية الأمريكية المعتمدة(٤١)، وقد جاءت فترة رئاسة الرئيس الأمريكي تافت (Taft) (١٩٠٩ - ١٩١٣م/١٣٢٧ - ١٣٣١هـ) لتعطي دفعة قوية لذلك الاتجاه؛ فقد تبنى ما سمي بـ "دبلوماسية

> **كان هدف الأمريكيين منذ وصولهم إلى منطقة الخليج العربي محاولة إزاحة بريطانيا من السوق، والحلول محلها قوة اقتصادية مهيمنة هناك**

---

(38) NARA ,RG 84 , B.C.P. , "The Bedouins and their politics "

(٣٩) بالمر، المرجع نفسه، ص ٢٤٢.

(40) NARA ,RG 84 ,B.C.P. ,No. M 266 , Am. Con.-Gen., Const. , to Am. Vice Con. ,Bagh., dated 6/2/1911 .

(٤١) الغالبي، المرجع نفسه، ص ص ١٩٨- ١٩٩.

الدولار" الهادفة إلى جعل الولايات المتحدة الأمريكية قوة رئيسة في العالم في ميداني التجارة والمال(٤٢). واشترك الرئيس مع وزير خارجيته نوكس (Knox) في رؤيتهما أن يكون هدف الدبلوماسية الأمريكية تحقيق استقرار في العلاقات الخارجية بما يعزز المصالح التجارية الأمريكية، وكان وزير الخارجية يسعى أيضًا لاستخدام رأس المال الخاص لتنمية مصالح الولايات المتحدة عبر البحار(٤٣). وقد نشطت دوائر وزارة الخارجية الأمريكية لتفعيل تلك السياسة في المنطقة، فعينت في أثناء سنة ١٩١١م (١٣٢٩هـ) قنصلاً عامًا في مقر السفارة الأمريكية في إسطنبول، وجعلت مهمته الرئيسة السعي لتنشيط التجارة الأمريكية في المنطقة(٤٤). ومن الطبيعي أن تكون لنجد حصة من ذلك التطلع الأمريكي؛ فهي سوق واعدة يمكن فتحها أمام المزيد من المنتجات الأمريكية بعد أن ظلت حتى ذلك اليوم لا تعرف من تلك المنتجات إلا الأقمشة القطنية التي كانت تصلها عن طريق البحرين والكويت، وتسمى في أسواقها "أمريكاني"(٤٥).

وثمة أمر آخر جذب اهتمام المستثمرين الأجانب نحو المنطقة كلها، وهو مرتبط في أكثر الأحيان مع مشروعاتهم النفطية، ويتمثل في السعي للحصول على امتيازات إنشاء السكك الحديدية، وكانت المنطقة المحيطة بنَجْد تعج بمشروعات سكك حديدية كثيرة وجد بعضها طريقه للتنفيذ يومذاك مثل: سكة حديد المدينة المنورة وسكة حديد برلين - بغداد، وقد حظيت السكة الأخيرة باهتمام كبير من لدن القنصلية الأمريكية في بغداد منذ سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ)؛

---

(42) Bailey,T.A. ,A Diplomatic History of the American People , 9th ed. , Englewood Cliffs , p.511.

(43) http://www.state.gov/www/about.state/history/time6.htm

(44) NARA ,RG 84 ,B.C.P. ,NO.12 ,Am. Con.-Gen. At Large, London ,to Am. Vice Con. ,Bagh., dated 19/1/1911.

(45) NARA ,RG 84 ,B.C.P., "Foreign trade opportunity ', by Am. , Con. ,Bagh. ,dated 5/10/1907.

إذ توجد في سجلاتها عشرات التقارير والرسائل التي تابعت كل صغيرة وكبيرة تتعلق بذلك المشروع ومراحل تنفيذه، ولم يكن ذلك الاهتمام منصبًا على تلك السكة فقط، بل كان يمتد لأي مشروع سكة حديد آخر يتم طرحه، فقد اهتم القنصل الأمريكي بمشروع مقترح لمد سكة حديد من دمشق إلى بلدة هيت الواقعة على نهر الفرات إلى الشمال الغربي من بغداد، وكتب عنه تقريرًا طويلاً في العاشر من أكتوبر ١٩٠٩م (١٣٢٧/٩/٢٦هـ) ضمنه التفاصيل الفنية للمشروع وجدواه الاقتصادية، وخلص إلى دعوة أصحاب رؤوس الأموال الأمريكيين للتفكير في إمكانية تبني تنفيذ هذا المشروع، واقترح أن يرسل المهتمون منهم فرقة استكشافية للعراق لدراسة المشروع المقترح على الطبيعة(٤٦). وعاد القنصل للكتابة عن هذا المشروع ثانية بعد أقل من شهر، حيث كرر حث المستثمرين الأمريكيين حثًا قويا على إيلاء ذلك المشروع اهتمامهم(٤٧)، وكانت لنَجْد حصة صغيرة من ذلك التنافس الدولي المحموم على مشروعات السكك الحديدية؛ حيث أريد لبعض تلك السكك أن تمر في أطرافها؛ فقد كان المستثمر الروسي الكونت كابنست يحاول منذ أواخر القرن التاسع عشر الحصول على امتياز لمد خط سكة حديد من البحر المتوسط حتى الكويت على الخليج العربي، بما يعني مروره في أطراف نجد الشمالية(٤٨)، كما أن بريطانيا بعد أن نال الألمان امتياز خط برلين - بغداد فكرت في تنفيذ سكة حديد منافسة تصل البحر المتوسط بالخليج العربي(٤٩)، وكان من المقترح أن تبدأ من ميناء بور سعيد إلى

---

(46) NARA ,RG 84 ,B.C.P., "Could a railroad from Damascus to Hit be made to pay ? " ,by Am. Con. ,Bagh. ,dated 10/11/1909.

(47) NARA ,RG 84 ,B.C.P. ,"The reclamantion of Mesopotamia" , by Am. Con. ,Bagh. ,dated 3/12/1909 .

(48) Hewins ,R. ,A Golden Dream ,London ,p. 125 .

(٤٩) بينروز، المرجع نفسه، ج ١، ص ٧٣.

العقبة ومن هناك تتجه نحو بلدة الجوف في شمال نجد، ومنها تمتد إلى البصرة(٥٠)؛ فكان من الطبيعي لذلك كله أن تهتم السلطات الأمريكية بنجد في هذا الوقت بالذات.

وثمة ناحية أخرى جذبت الاهتمام الأمريكي إلى نَجْد وهي أنشطة المنصرين الأمريكيين على أطرافها ورغبتهم الأكيدة في التغلغل إلى داخلها؛ فلقد كانت نظرة أولئك المنصرين إلى ضرورة العمل في كل شبه الجزيرة العربية نظرة في منتهى الجدية، وعبر عنها القس صموئيل زويمر بقوله: "إن من بين الدوافع إلى العمل في المنطقة الأسباب التاريخية"(٥١). ولعل معتقده هذا هو الذي يفسر إصراره على زيارة الأحساء في غضون ذلك الوقت؛ فقد كتب إلى القنصل الأمريكي في بغداد في الثامن من يناير ١٩١٢م (١٩/١/١٣٣٠هـ) ينبئه بأن السلطات العثمانية في بغداد رفضت التماسه السماح له بزيارة الأحساء للقيام بالأعمال التنصيرية المعتادة مثل: معالجة المرضى وبيع الكتب، وذكر بأنه سبق أن زار ذلك المكان مرتين تحت ظل النظام القديم (يقصد حكم السلطان عبد الحميد الثاني الذي انهار سنة ١٩٠٩م/١٣٢٧هـ)، وأضاف أنه كرر المحاولة مع والي البصرة الذي رد بشكل حاسم حين أخبره بأنه لن يسمح له قط بزيارة الأحساء، ورجا زويمر القنصل القيام بكل ما في طاقته لمساعدته في الوصول إلى هدفه(٥٢).

ولم يهمل القنصل ذلك الطلب، بل اتصل بسلطات ولاية بغداد فأوضحت له مبررات رفضها التماس زويمر، فكتب للأخير قائلاً: إن له الحق في زيارة أي مكان في الأراضي العثمانية، ولكن عند الرغبة

---

(٥٠) لونغريك، س.، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ حتى سنة ١٩٥٠م، ترجمة سليم التكريتي، بغداد، ١٩٨٨م، ج١، ص ١٠٧.

(٥١) البسام، المرجع نفسه، ص ٥.

(52) NARA ,RG 84 ,B.C.P. ,S. Zwemer ,Bahrein ,to Am. Con., Bagh. , dated 8/1/1912 .

في السفر إلى المناطق الداخلية يجب أن تؤخذ السلامة في الحسبان، وأضاف: إن السلطات العثمانية أفادته بأنها رفضت إعطاءه الإذن بزيارة الأحساء، لأنها تعدّ ذهابه إليها أمرًا غير مأمون العواقب، وهي لا ترغب بتحمل أية مسؤولية عما يمكن أن يتعرض له هناك، وتترك له حرية السفر على مسؤوليته الخاصة دون أن توفر له الحرس المرافق المعتاد، ونصح القنصل في ختام رسالته زويمر بعدم القيام برحلته المزمعة إلى حين إقناع السلطات العثمانية مستقبلاً بتوفير الحراسة اللازمة له(٥٣)، وبالفعل لم يهمل القنصل الموضوع، وكتب إلى القائم بأعمال الوكيل القنصلي الأمريكي في البصرة يخبره بجلية الأمر، ويرجوه مفاتحة والي البصرة من أجل الحصول منه على أمر يقضي بتوفير الحراسة اللازمة للقس زويمر في أثناء رحلته المزمعة إلى الأحساء(٥٤). وقد قام القائم بالأعمال بمقابلة الوالي وطرح عليه الأمر، فرد الوالي بالقول بأن سكان الأحساء مستثارون بسبب الحرب الإيطالية - العثمانية، ولذلك فإن السلطات المحلية في الأحساء أخبرت الولاية بأنها لا تستطيع تأمين سلامة القس زويمر هناك لا سيما أنه قد قام بدعايات ضد الإسلام خلال زيارتيه السابقتين لذلك المكان. وعلق القائم بالأعمال على ذلك الرد بقوله: إن تلك الأسباب يمكن قبولها مؤقتًا مع تأكيد حق المواطنين الأمريكيين في السفر لأي مكان في الأراضي العثمانية، وأضاف بأنه مصمم على الحصول على موافقة الوالي على زيارة زويمر إلى الأحساء حين تهدأ الأوضاع، بشرط عدم قيامه بدعاية بين المسلمين(٥٥).

---

(53) NARA ,RG 84 ,B.C.P. ,Am. Con. ,Bagh. ,to Dr. S. Zwemer, Bah. ,dated 22/1/1912 .

(54) NARA ,RG 84 ,B.C.P. ,No. M-C 43 ,Am. Con. ,to M.Serge Toukholka ,Basrah , dated 20/1/1912 .

(55) NARA ,RG 84 ,B.C.P. , S.Toukholka , Bas. ,to Am. Con.,Bagh. , dated 8/2/1912 .

وعلاوة على تلك الدوافع الاقتصادية والدينية التي جعلت الأمريكيين يتطلعون عن بعد نحو نَجْد، كانت هناك أحداث تدور داخل نَجْد ذاتها وعلى أطرافها جذبت أنظار العالم الخارجي نحوها مما أخرجها من عزلتها الطويلة؛ فقد احتدم خلال سنوات مطلع القرن العشرين الصراع السياسي والحربي بين أمراء حائل من آل رشيد وبين الأمير عبدالعزيز آل سعود، وارتمت الدولة العثمانية في أتون ذلك الصراع حين التزمت جانب آل رشيد حتى قررت في النهاية سوق قواتها إلى نَجْد سنة ١٩٠٤م (١٣٢٢هـ)، وأدت تلك الخطوة إلى إدخال نَجْد في معترك التنافس الدولي الذي كان على أشده يومذاك؛ فقد تحفظت بريطانيا على تلك الخطوة زاعمة أنها تمس مصالحها في الخليج، ولا ريب أن مبعث ذلك التحفظ ليس خشية بريطانيا من التوسع العثماني فقط، بل من وقوف منافستها ألمانيا خلف تلك التحركات العثمانية في المنطقة(٥٦)، كما أن نجاح الألمان في تولي مهمة بناء سكة حديد الحجاز لصالح السلطات العثمانية، وما واجهته تلك السكة من مقاومة عنيفة على أيدي قبائل الحجاز جذب مزيدًا من الاهتمام الدولي إلى هذه المنطقة (٥٧). وحدث في غضون ذلك الوقت الصدام بين الأمير عبد العزيز آل سعود والشريف حسين بن علي أمير مكة المكرمة حين قاد الأخير حملة حربية على أطراف نجد سنة ١٩١٠م (١٣٢٨هـ) ليضيف سببًا آخر لذلك الاهتمام (٥٨). وجاءت قمة تلك الأحداث اللافتة لأنظار

---

(٥٦) للمزيد من المعلومات عن ذلك الصراع انظر: خالد السعدون، العلاقات بين نجد والكويت ١٩٠٢- ١٩٢٢م، ط٢، دار السلاسل، الكويت، ١٩٩٠م، ص ص ٩٤-١٠٥.

(٥٧) اهتم الدبلوماسيون الأمريكيون العاملون في المنطقة بأحداث تلك المقاومة وكتبوا عنها تقارير عدة، منها :

NARA ,RG 84 ,B.C.P. ,No.177,Bie Ravndal ,Beir. ,to Am. Amb. ,Const. ,Dated 16/7/1908

No. 188 ,Bie Ravndal ,Beir. , to Am. Amb. , Const. ,dated 3/8/1908 .

(٥٨) خالد السعدون، أضواء على حملة شريف مكة على القصيم سنة ١٩١٠م، في: "الدارة، العدد ١، السنة ١٠، يونيو ١٩٨٤م"، ص ص ٤٦- ٥٠.

العالم الخارجي مع نجاح الأمير عبد العزيز آل سعود بانتزاع الأحساء والقطيف من أيدي السلطات العثمانية في شهر مايو من سنة ١٩١٣م (١٣٣١هـ) بالصورة التي وثقتها التقارير القنصلية الأمريكية وجرى استعراضها فيما مر؛ فليس من المستغرب لذلك كله أن تثير تلك الأحداث المتتابعة في نجد وما حولها انتباه قناصل الولايات المتحدة الأمريكية العاملين في هذا الجزء من العالم، كما جذبت انتباه ممثلي دول أخرى كثيرة، ومن المرجح أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أولت تقارير قناصلها الكثيرة عن ذلك الحدث بعض اهتمامها وهي التي كانت تتطلع إلى المناطق "الشاغرة "في العالم كما مر.

الخلاصة:

أثبت البحث أن العلاقات الرسمية التي قامت بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية في أوائل ثلاثينيات القرن المنصرم قد سبقها اهتمام أظهره الجانب الأمريكي بجمع المعلومات عن نجد؛ إذ أظهرت الوثائق الرسمية الأمريكية أن ذلك الاهتمام بدأ بالفعل قبل بدء العلاقات بأكثر من عقدين من الزمن، وبالتحديد سنة ١٩٠٧م (١٣٢٥هـ)، وكانت بواعث ذلك الاهتمام اقتصادية بالدرجة الرئيسة، تسندها اهتمامات دينية وسياسية، وقد تصاعدت وتيرة ذلك الاهتمام فيما بعد، وخاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى واحتدام الصراع على النفط في المنطقة، وتلك قصة غدت معروفة للجميع لكثرة ما كتب عنها.